① في الحوار بين الحضارات

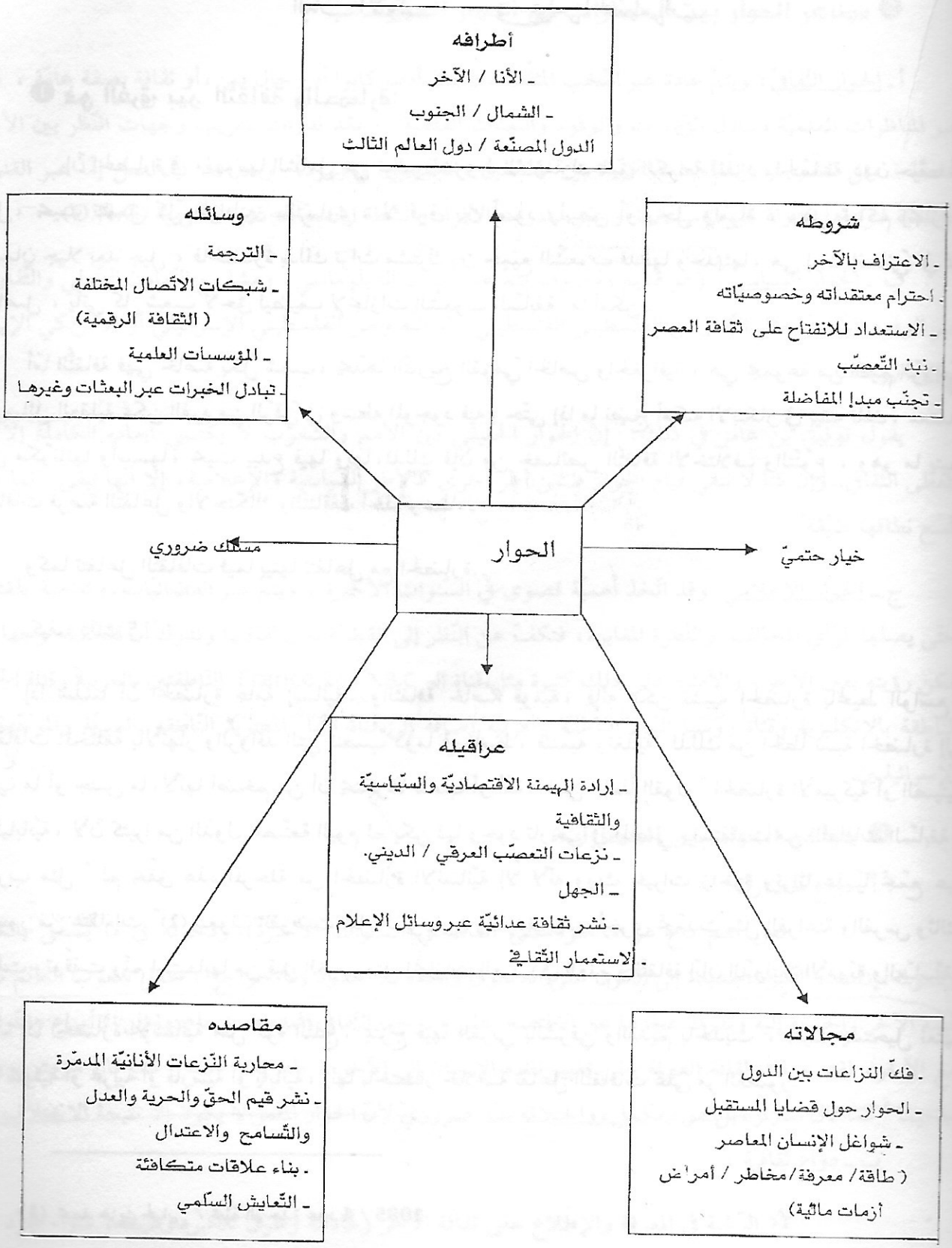

Tunisie DEVOIR.TN

الباب الأوّل في حوار الحضارات

❶ في الفرق بين الثّقافة والحضارة:

إنّ الحضارة في مفهومها الشّامل هي توفير الشّروط اللاّزمة لتحقيق الكرامة للفرد والجماعة دون حيف أو خلل، بحيث تشمل كلّ المواطنين بالتّساوي، لا فرق بين أسود وأبيض أو رجل وامرأة ، وهي تراكم إنجازات الإنسان جيلا بعد جيل ، فالحضارة بذلك تراث مشترك بين جميع الشّعوب قديمها وحديثها، هي إرث إنسانيّ في نموّ متواصل ، يأتي كلّ شعب لاحق ليضيف لإنجازات الشّعوب السّابقة ما أمكن.

أمّا الثّقافة فهي خاصّة بكلّ شعب، يحدّها التّاريخ القوميّ الخاص والجغرافيا ، هي مجموعة من القيم الرّوحيّة والوسائل العقليّة تمكّن الفرد من الرّقيّ في وسطه الموجود فيه، حتّى إذا ما نضج أمكنه الابتكار في بيئته تلك، معتمدا على مكوّناتها وأسسها، بحيث يبدع فيها وبها، لذلك فإنّ من خصائص الثّقافة الاختلاف والتّنوّع ، وهو ما يتيح للثّقافات فرصة التّفاعل والاحتكاك والتّثاقف أخذا وعطاء.

وكما تتفاعل الثّقافات فيما بينها تتفاعل مع الحضارة.

كيف ذلك ؟

إذا سلّمنا أنّ الحضارة عامّة إنسانيّة، والثّقافة خاصّة قوميّة، فإنّه يمكن تشبيه الحضارة بالمحيط الواسع، والثّقافات المختلفة بالأنهار والرّوافد التي تنصبّ دوما في المحيط، فتنمّيه وتغذّيه. لذلك من الخطأ نسبة الحضارة إلى شعب ما أو جنس ما، لأنّها أضخم من أن يحتكرها شعب أو أمّة، فمن الخطأ القول " الحضارة الأميركيّة أو الصينيّة أو اليابانيّة، لأنّ كثيرا من الدّول المصنّعة اليوم لم يكن لها وجود تاريخيّ في الماضي واستفادت من الثّقافات السّابقة، فالغرب مثل " لم يحقّق هذه المرحلة من الحضارة الإنسانيّة إلاّ لأنّه ورث خيرات زاخرة وتراثا علميّا تجمّع عبر العصور من عطاءات "(1) شعوب انقرضت مثل السّومريين والفينيقيين، وأخرى تجمّدت مثل الفراعنة والفرس وثالثة تعطّلت وتوقّفت وتّم استيعابها من قبل الغرب مثل إنجازات العرب في العلم والثّقافة إبّان الدّولتين الأمويّة والعبّاسيّة.

إنّ الحضارة الإنسانيّة مثل كرة الثّلج، يمتزج فيها الغربيّ بالشّرقيّ والقديم بالحديث ، بحيث يستحيل نعتها بأنّها شرقيّة أو غربيّة أو فارسيّة أو يابانيّة، إنّها باختصار خلاصة تفاعل الثّقافات على مرّ العصور.

---

(1) محمد عزيز لحبابي / مجلّة الوحدة عدد 4 / 1985

Tunisie DEVOIR.TN

❷ مظاهر الحوار بين الحضارات في العصر الحديث:

أ - الحوار الثّقافيّ: ويتمّ عادة عبر النّخب المثقّفة ، رجال أدب كانوا أو رجال دين، أو ثقافة بصفة عامّة ، ويتمّ عبر المناظرات العلميّة وتبادل الزّيارات والوفود والبعثات العلميّة، وعقد ندوات لتقريب وجهات النّظر بين الأديان خاصّة (مثل الندوات واللّقاءات المتكرّرة بين المسلمين والمسيحيين واليهود) ويتمّ هذا التّواصل إمّا عبر القنوات الرّسميّة فترعاها الدّولة عبر مؤسّساتها أو عبر مبادرات الأفراد وأنشطة الجمعيّات غير الحكوميّة (O.N.G)

ب - الحوار السياسي: وهو قديم ومعروف يتمّ عبر التّبادل الدبلوماسي، ومشاريع التّعاون الدّولي والتّفاوض عبر الوفود الرّسميّة مثل التّفاوض الفلسطيني الفلسطيني، أو التّفاوض الفلسطيني الإسرائيليّ أو الأمريكي الإيراني ، إلى غير ذلك.

يقول توفيق بن عامر في ذلك: " إنّ الحوار الحقيقي بين الأمم والشّعوب لا يكتسي أبعاده الكاملة إلاّ عبر المعطى الثّقافي...وإن كنّا لا ننفي قيام الحوار ضمن أطر أخرى كالأطر السّياسيّة والإعلاميّة، إلاّ أنّها تبقى دائما مهما اتّسع نطاقها ضيّقة"

ج - الحوار الإعلامي: وقد اتّخذ أهميّة قصوى في السّنوات الأخيرة ، ويتمّ عبر الفضائيّات، ومخاطبة بلغتها حتّى يصلها الرّأي المخالف، والنّظرة المغايرة، فتكفّ عن النّظر إلى القضيّة بعين ثقافتها وتدرك أنّ للحقيقة وجها آخر يمكن رؤيته بعين الآخر، والأمثلة على ذلك كثيرة مثل قناة الـ B.B.C و France 24 النّاطقتين بالعربية وقناة الجزيرة النّاطقة بالإنكليزية وقناة روسيا اليوم الناطقة بالعربية إضافة إلى قناة النّيل المصرية النّاطقة بالعبريّة والموجّهة إلى الإسرائيليين.

❸ دواعي الحوار بين الحضارات:

أ - دواع حضاريّة:

لعلّ أهمّ داع هو ما طرأ على العالم في السّنوات الأخيرة، ودخوله في ما يُسمّى بالكونيّة والعولمة، إنّ هذه النّظرة الجديدة إلى الكون على انّه سوق واحدة بلا حدود ولا حواجز ، جعل شعوب العالم تدرك قيمة الآخر والحاجة إليه وتدرك عجزها عن الاقتصار على منتوجها الثّقافي المحدود، وحاجتها إلى الاتّساع والتّواصل مع الآخر، لقد عملت ثقافة العولمة على تغيير نظرة الإنسان إلى الآخر ، فلم يعد " ذئبا " كما قال هوبس، ولا " جحيما " كما قال سارتر، بل هو ومكمّل، واختلافه عنّا ضروريّ لأنّ الحوار المثمر لا يكون إلاّ نتيجة الاختلاف.

ب - دواع ثقافيّة :

☆ الرّغبة في المعرفة والإطّلاع على ثقافة الآخر وعاداته وطرق تفكيره وعيشه، سواء لمجرّد حبّ

Tunisie DEVOIR.TN

الإطّلاع والفضول أو للاستفادة من خيراته عبر سيرورته التّاريخيّة.

☆ لقد عانت شعوب العالم من حروب مدمّرة منها الحربان العالميّتان الأولى والثّانية ، وحرب الفيتنام والحروب المتكرّرة بين العرب وإسرائيل والحرب على العراق وأفغانستان، وقد اتّخذ هذا الصّراع في السّنوات الأخيرة شكلا ثقافيّا يتمثّل على سبيل المثال في استهداف المسلمين والعرب من لدن وسائل الإعلام الغربية وتصويرهم في صورة الإرهابيين، وهو ما حدا ببعض الدّول المعتدلة وبعض المنظّمات الحكوميّة وغير الحكوميّة إلى العمل على تقريب وجهات النّظر وإحلال التّفاهم بدل الحروب ولغة الحوار بدل لغة القوّة والسّلاح لتجنيب العالم الويلات والكوارث، وذلك بالتّأكيد على أنّ الاختلاف في الدّين واللّون والثّقافة ليس بالضّرورة عامل تفرقة وبصراع بقدر ما هو عامل تكامل وتعاون.

ج ـ دواع اجتماعيّة :

بعض دول العالم الثّالث تجنح إلى الحوار مع الدّول الصّناعيّة لا عن اقتناع تام بجدوى الحوار بقدر ما يكون بدافع الحاجة إل المساعدات الغربية ، لأنّ الدّول المانحة كثيرا ما تربط بين المعونات الاقتصادية وفرض وجهات نظرها وقناعاتها سياسيّة كانت أو إيديولوجيّة أو اقتصادية، فالغرب ـ رغم زوال الاستعمار ـ ما زالت تحرّكه دوافع السّيطرة والهيمنة على مستعمراته القديمة، فلئن انحسر الاستعمار العسكريّ فقد حلّ محلّه الاستعمار الاقتصادي خاصّة، ناهيك أن القمح يصطلح عل تسميته الآن بالسّلاح الأخضر.

د ـ دواع اقتصاديّة :

لقد ساهم سقوط الاتّحاد السوفييتي في بروز أمريكا قوّة وحيدة في العالم تتحكّم في اقتصاد العالم وسياسته، وتوجّههما حسب مصالحها ، فأوجدت ما يسمّى بالعولمة وسيلة للهيمنة والسّيطرة والتّحكّم في اقتص العالم، وفرضت وحليفاتها شروطا تمكّن المساهم في الاقتصاد العالمي الجديد من حوافز عديدة ، وبالمقابل تقصي " المغضوب عليهم " من شبكة الاقتصاد العالميّ ، وهو ما جعل الانفتاح الاقتصادي ضرورة لا مهرب منه، والشّراكة الاقتصادية لزاما لا فكاك منه في ظلّ نظام السوق العالميّة الموحّدة.

❹ شروط تحقق الحوار بين الحضارات:

أهمّ شرط إنجاح الحوار هو أن ندرك أنّه لا ثقافة أرقى من أخرى ولا ثقافة أسمى من غيرها وأفضل ، وأن ندرك أنّ حضارة اليوم كونيّة لا شرقية ولا غربية ، بل هي صرح ساهمت في بنائه الإنسانيّة على مرّ السّنين ومن ثمّ فإنّ نتاجها يجب أن تتمتّع به كلّ البشريّة دون إقصاء أو تهميش ودون شروط أو ضغوط، فنجاح هذا الحوار لا

يتمّ إلاّ إذا أقررنا بأنّ كلّ شعب قادر على الإفادة قدرته على الاستفادة ن وإذا اقتنعت الشّعوب بجدّية هذه الشّراكة.

هذا اقتصاديّا.

Tunisie DEVOiR.TN

أمّا ثقافيّا ، فلن يُكتب لهذا الحوار النّجاح إلاّ إذا اعترفنا بالآخر على أنّه كيان ثقافيّ وحضاريّ كفء وقادر على العطاء، وفي حاجة إليه رغم الاختلاف، يقول توفيق بن عامر في ذلك، ثمّة قاعدة " مبدئيّة أخرى هي ضرورة الاعتراف بالآخر وبهويّته ومعتقداته وحضارته وإحلال مبدإ التّسامح محلّ نزاعات التّعصّب ، وإقصاء فكرة التّفاضل بين الثّقافات واستبدالها بفكرة التّكامل بين الثّقافات، وأنّ من شروطه العلميّة احترام الشّرعيّة الدّوليّة وتأسيسها على الحقّ والعدل والمساواة لا على منطق التفوّق المادّي والعنف والقوّة "

❺ وسائل تحقيق الحوار بين الحضارات :

وسائل الحوار بين الحضارات متعدّدة ومتغيّرة ومتطوّرة، حسب تغيّر الزّمان والمكان والثّقافة ، ولعلّ من أقدمها :

❀ التّرجمة : هي نقل المعارف والخبرات من لغة إلى أخرى قصد الاستفادة منها، وهي وسيلة تواصل بين الشّعوب باعتبارها كوّة يطلّ منها المرء على الثّقافات الأخرى ويتعرّف على أفكارٍ وعاداتٍ وقناعات مختلفة عن تلك التي نشأ عليها، ولذا فهي تساهم في تقريب الرّؤى ووجهات النّظر ، وتعمل على مدّ جسور التّواصل بين الأمم والتّفاهم بين الشّعوب، وهي تساهم بشكل أو بآخر في إرساء دعائم الحوار بين الثّقافات بدل الصّراع، والسّلام بدل الحرب والتّسامح بدل التّعصّب.

" والنّاظر في تاريخ الثّقافة العالميّة يلاحظ في يسر أنّ الشّعوب لم تتطوّر إلاّ بالتّرجمة، هكذا كان نهوض الشّرق العربيّ في العصر الحديث كنهوضه في العصر القديم " (1)

فالتّرجمة هي إيجاد علاقة تفاعل بين الثّقافات والشّعوب، وهي مدّ لجسور الحوار بين الأمم وعامل تقارب بين الأنا والآخر، وهي إقصاء الإقصاء، واعتراف بالآخر طرفا فاعلا، له ثقافته وهويّته وكينونته وخصوصيّاته المميّزة له . ذلك أنّ الإطّلاع على ثقافة شعب ما والتّعرّف على مكوّنات شخصيّته وأسلوب تفكيره وقناعاته ورؤاه الفكريّة وتقاليده وأعرافه هو خير منطلق لمعرفته وأقوم مسلك للتّواصل معه.

❀ الإعلام : .ما انفكّت وسائل الإعلام تتطوّر عبر العصور ، بل وعبر السنوات والأعوام ، كانت صحافة فإذاعة فتلفزة، ثمّ تطوّرت التّلفزة لتربط بين أنحاء المعمورة عبر الأقمار الصّناعيّة ، تنقل الأخبار في الحين والأحداث مباشرة، ثمّ ظهر الأنترنيت أو الشّبكة العنكبوتيّة التي تجاوزت الحدود والعراقيل لتدخل كلّ البيوت عبر الحواسيب والهواتف النّقالة، فيسّرت المعلومة ووضعت أمام الإنسان خرائط جغرافيّة محليّة تغطّي نسبة كبيرة من الأرض، وأصبح في متناول كلّ واحد اكتساب مدوّنة على هذه الشّبكة تجاوز عددها في نهاية 2006 ما يزيد عن 31 مليون، وهي تساعده على التّعريف بالإبداع الإنسانيّ والبحث العلميّ ومكّنت النّاس من التّعبير عن أفكارها بكلّ

---

1) منجي الشّملي / طه حسين في مرآة العصر ص 16 ـ 17

Tunisie DEVOIR.TN

حريّة، يقول نبيل عليّ "وكما أسقطت تكنولوجيا الطّباعة سلطة المتحدّث على مستمعه فربّما يكون في مقدور تكنولوجيا المعلومات أن تسقط سلطة المؤلّف على قارئه لينتزع هذا القارئ حقّه في حريّة قراءة نصّه وفقا لرؤيته وغايته، وعلى المنوال نفسه يتحرّر المشاهد من القابض على بثّ الرّسالة الإعلاميّة ليشاهد ما يحلو له في الوقت الذي يناسبه".

❻ عوائق الحوار بين الحضارات:

نلاحظ أنّ أهداف العولمة في ظاهرها نبيلة سامية ، تقرّب بين أصقاع الأرض وتحقّق التّواصل بين الشّعوب والحوار بين الثّقافات بهدف إزالة مظاهر الحقد والبغضاء والقضاء على التعصّب لإحلال السّلام والتّعاون والأمن في العالم، ونشر ثقافة الاعتدال التي تعترف بالآخر طرفا فاعلا.

لكن تحول دون هذا الحلم حوائل عديدة منها :

❀ النزوع إلى الهيمنة : إنّ الحوار الفاعل والإيجابيّ لا يمكن أن يتمّ إلاّ بين أطراف فاعلة بل متساوية في القدرة والفاعليّة، أمّا الحوار بين ضعيف وقويّ فغالبا ما يؤول إلى إملاء شروط وشكل من الهيمنة مقنّع، والسّؤال الصّعب المطروح اليوم هو: كيف يتسنّى المحافظة على الخصوصيّة الثّقافيّة في حوار ثقافيّ غير متكافئ؟

❀ فأمريكا اليوم تنادي بالحوار والديمقراطية وحرية الشّعوب في تقرير مصيرها لكنّها لا تتورّع من الاستحواذ على مصادر الطّاقة في العالم ، ولو كان بالقوّة وبشنّ حروب مدمّرة مثلما يحدث في العراق ، كلّ ذلك حماية لمصالحها الاقتصاديّة والاستراتيجية.

التّفكير الامبريالي : رغم تحرّر الشّعوب واستقلها السياسي والعسكري ، فإنّ الكثير من منظّري الغرب ما زالوا يتصرّفون بعقليّة استعماريّة ، وما زالوا ينظرون إلى الدّول المحرّرة على أنّها " حديقتهم" ، وهو ما يعوق الحوار النّزيه والتّعاون البنّاء.

❀ تقسيم العالم: رغم "الإرادة الخيّرة " للدّول الصّناعيّة وعقد لقاءات في أشكال مختلفة بينها وبين الدّول الفقيرة تحت تسميات عديدة منها **5** (الدّول الأوربية المطلّة على المتوسّط) زائد **5** (الدول المغاربية المطلة على المتوسّط) والدول الصناعية العشرون والسبعة الكبار، إلى غير ذلك من التسميات فإنّ مجرّد تقسيم العالم إلى دول الشّمال ودول الجنوب، أو الدول الصناعيّة والدّول النامية او الدّول الغنيّة والدّول الفقيرة هو تصنيف من شأنه أن يعمّق الهوّة بين الشّعوب ويضعنا إزاء واقع مختلف عن التّنظير، يجعل من الدّول الفقيرة تابعة لدول المحور، تدور في فلكها ولا تستطيع الاستغناء عنها لأنّ " النّعمة لا تدوم بالعطاء".

❀ انحراف وسائل الإعلام : عبر الحملات الدعائيّة التي تصوّر العربيّ والمسلم إرهابيّا معتديا والغربيّ ضحيّة إضافة إلى ما تخلق وسائل الإعلام من دمار ثقافيّ لقيم الشّعوب الضّعيفة ومبادئها عبر تصدير صورة مشوّهة عن ثقافتنا وقيمنا." فالخطر يمكن في أن تعود إلينا صورة تراثنا مشوّهة وان ترسم لوحات من تاريخنا المجيد بأيدي

Tunisie DEVOIR.TN

غيرنا، ومن كان خصما لنا، فمظاهر التّحريف عديدة منها ما يتّصل بالعقيدة والدّين ومنها ما يتّصل بالتّاريخ والتّراث " (1)

❀❀❀❀❀❀

إذن، إنّ الهدف من حوار الحضارات هدف نبيل يتمثّل في مدّ جسور التّواصل بين الأمم وتمتين العلاقة بين الشّعوب وتقريب الرّؤى ووجهات النّظر ثقافيّا واقتصاديّا وسياسيّا ، ولكنّه يظلّ هدفا طوباويّا تحول دون تحقيقه حوائل عديدة منها مصلحة القوى المهيمنة والتّعصّب الدّيني والإيديولوجيّ.

بل من المفكّرين من يذهب إلى لأنّ دعوة القوى المهيمنة إلى العولمة هي وسيلة لابتزاز ثروات الدّول الضّعيفة بطريقة مقنّنة" شرعيّة " ووسيلة لخدمة مصالحها، مثل تأليب العرب ضدّ إيران ترهيبا لهم من سيطرة الفرس، أو تخويفهم من تنامي دور تركيا في المنطقة باعتبارها توق من الخلافة العثمانيّة لإعادة السّيطرة على الدّول العربيّة ، أو محاصرة روسيا بالدّول التي كانت حليفة لها في عهد الإتّحاد السّوفييتي، خاصّة أنّ هذا لا يتمّ عبر الحوار بقدر ما يكون عبر المساعدات المشروطة والقروض الموجّهة.

ولكن، رغم كلّ ذلك يبدو أنّ العولمة صارت اليوم قدرا محتوما يصعب الفكاك منه، وأنّ التّلاقح مع بقيّة الثّقافات من الحتميّات، وهو وضع صعب يحتّم علينا ألاّ نضطرّ إلى الانفتاح بل أن نختاره عن اقتدار حتّى نتلاقح مع الآخر من موقع الفاعليّة والقدرة ، لأنّ الانكماش على الذّات والتّقوقع في عصرنا الحالي موت وانتحار بطيء، والانفتاح دون حصانة يعرّض شخصيّتنا للذّوبان وانحلال رباط الأمّة وعماده اللّغة والثّقافة.

---

(1) مصطفى المصمودي، العرب في المجتمع الإعلامي ص 85

Tunisie DEVOIR.TN

الباب الرابع في الفكر والفن

تمهيد :

ينبني هذا المحور على بابين :

الباب الأوّل في الفكر : ويرصد أهمّ مشاغل الإنسان المعاصر وقضاياه المتعلّقة بالوجود والحياة والكون، مثل التلوّث والدّيمقراطيّة والعولمة والتكنولوجيا ووسائل الاتّصال الحديثة، إلى غير ذلك من قضايا العصر.

الباب الثاني في الفنّ : ويهتمّ بكلّ ما له صلة بالفنّ مثل الموسيقى والمسرح والسينما والعمارة وعلاقة الإنسان المعاصر بها.

في الديمقراطية

نشأت الدّيمقراطيّة في أثينا القديمة في القرن الخامس قبل الميلاد حيث اقتصرت على المجتمع الذكوري فقط ومنع العبيد والنساء من المشاركة فيها ،ثمّ تطوّرت في مسيرتها الطويلة وشُذب منها ما يبخس حق الفقراء والنساء من المساهمة في الإدلاء برأيهم في الأمور المطروحة. وانتقلت من الديمقراطية المُباشرة إلى الديمقراطية غير المباشرة لصعوبة جمع آلاف من الناس في مكان واحد لإبداء رأيهم في قضية ما ، لذا تم العمل بالتمثيل النيابي واختيار من يُمثل آلاف الناس ليتحدث نيابة عنهم.

ما الديمقراطيّة :

✓ ليست الديمقراطية مجرد مؤسسات وإجراءات وانتخابات فقط، ولكنّها أيضا مجموعة قيم واتجاهات تشجع الممارسة الديمقراطية الفاعلة من جانب الحكام والمحكومين، وتنطلق من مقدمات بديهية مثل: إقرار حقوق الإنسان واحترامها وإصدار التشريعات القانونية التي تحميها وإقرار حرية الرأي والتعبير والتنظيم والتسامح السياسي والفكري والمساواة وحرية الصحافة والسماح بالتعددية الحزبية والتداول السلمي للسلطة واحترام إرادة الأغلبية.

✓ إنّ كل من كتبوا عن الديمقراطية اتفقوا على تعريف واحد يكاد يقترب من معناها الحرفي الذي يقرّ أن الدّيمقراطية هي حكم الشّعب بالشعب وللشّعب أي أنّ الشّعب هو الذي يحكم السلطة، والشعب هو الذي يختار الحاكم، وهذا من أجل فائدة الشعب.

وقد قال عنها الكاتب جون ديوي في كتابه القيم الديمقراطية والدين : "الديمقراطية هي أن يتمكن جميع أفراد الشعب من الإفصاح عن مطالبهم بكامل الحرية، وأن يناضلوا سياسياً بالوسائل المشروعة للتداول على السلطة بواسطة انتخابات حرة ودورية".

✓كما تقوم الديمقراطية على حرية الرأي والمعتقد، والتساوي أمام القانون لا فرق بين الحاكم والمحكوم، إضافة إلى الفصل بين السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية.

Tunisie DEVOIR.TN

إن أغلب دول العالم الثالث تشهد انفصالا شديدا بين جهاز الدولة والمجتمع نتيجة للظروف التاريخية التي مرّ بها هذا الجزء من العالم من جهة، وعدم سعي هذه الدول إلى توسيع المشاركة السياسية وإدخال الديمقراطية إلى مجتمعاتها من جهة أخرى، فأغلب هذه الدول إن لم تكن كلّها وقعت تحت سيطرة نظام الحزب الواحد وما يعني ذلك من نقص هامش الحرية والمشاركة السّياسية وتحوّل تلك الأنظمة الحاكمة إلى أنظمة دكتاتورية وتسلطية، بل إنها أحزاب بقيت حاكمة منذ حصول هذه الدّول على استقلالها السّياسي وإلى يومنا هذا.

الحلول:

✓ ضرورة قيام النظام السياسي في هذه الدول على مجموعة من القواعد الأساسيّة المنظمة لعمليّة صنع القرار وبشكل دستوري.

✓ بما أن أساس النّظرة الدّيمقراطية يعود إلى المبدإ القائل إنّ الشّعب هو صاحب السّيادة ومصدر الشّرعية فإنه لابد من إعادة صياغة مصادر شرعية السلطة لتحل محلها الشرعية الديمقراطية الدستورية المستمدة من إرادة الشعب، ومن التّوافق الوطني العام، وهو ما يجسّد التّتويج الفعلي لبناء عملية التحول الديمقراطي، ويسهم في استعادة النظم السياسية لشرعيتها وصدقيتها.

✓ وجملة القول إنّ الديمقراطية سمة حضارية بارزة تتوق لها شعوب العالم وتتطلع إليها، وهي باب مفتوح لولوج مقومات الإنسانية من حرية وحقوق إنسان وحق تقرير المصير. إلاّ أن الديمقراطية ليست هبة وعطاء يتكرم بها من يمتلكها على من يفتقدها ولا فريضة تفرضها قوة كبرى على قوة صغرى بالتهديد والوعيد أو بالسيطرة العسكرية وقوة السلاح. الديمقراطية هي حالة تفاعل مجتمعي ذاتي وخيار منطقي لعملية تطور وارتقاء تمرّ بها شعوب العالم وتنطلق ضمن إرادات تلقائية تتفاعل مع حركة الزمن ومع متطلبات المرحلة.

في العولمة

هل من المجدي التبشير بالديمقراطية المعولمة كما هو متعارف عليها حاليا؟ أم ينبغي دمقرطة العولمة حفاظا على مستقبل البشرية؟ وإذا كان الاحتمال الثاني هو الوارد؟ فما هو السبيل لتجاوز إكراهات العولمة؟

للإجابة على هذه التساؤلات يجدر بنا بادئ ذي بدء تحديد ماهية العولمة.

ماهية العولمة

✓ يذهب المفكر العربي محمد عابد الجابري إلى أنها ترجمة للكلمة الفرنسية التي تعني جعل "الشيء" على مستوى عالمي، أي نقله من المحدود والمراقب إلى اللاّمحدود الذي ينأى عن كل مراقبة، والمحدود هنا هو أساسا الدولة القومية التي تتميز بحدود جغرافية وبمراقبة صارمة على مستوى الجمارك مثل نقل البضائع والسلع إضافة إلى حماية ما بداخلها من أي خطر أو تدخل خارجي، سواء تعلق الأمر بالاقتصاد أو بالسياسة أو بالثقافة. أما اللامحدود فالمقصود به "العالم" أي الكرة الأرضية، فالعولمة إذن تتضمن معنى إلغاء حدود الدولة القومية في المجال الاقتصادي وترك الأمور تتحرك في هذا المجال عبر العالم وداخل فضاء يشمل الكرة الأرضية جميعها.

DEVOIR.TN Tunisie

✓ أما المؤسسات المالية كالمنظمة العالمية للتجارة أو صندوق النقد الدولي فإنهما ينظران للعولمة باعتبارها ترابطا في المصالح الاقتصادية للدول اعتمادا على بعضها البعض من أجل توسيع تبادل البضائع والخدمات وتنشيط الحركة الدولية لرؤوس الأموال وكذلك نتيجة لتسريع انتشار التقنيات الحديثة فيما بينها.

✓ ليست العولمة إذن نظاما اقتصاديا فقط بل منظومة كاملة ومتكاملة يحضر فيها الجانبان السياسي والاجتماعي، ولعل العدوان على العراق يترجم مرحلة متقدمة في مسلسل العولمة، ألا وهي عسكرة العولمة، فبعدما تم التمهيد للعولمة اقتصاديا واجتماعيا هاهي الولايات المتحدة تخطو خطوة جديدة في نظام العولمة.

✓إن العولمة في جوهرها مسلسل يهدف إلى توحيد العالم في كافة الميادين فيبدو كحتمية قائمة على التطورات العلمية والتكنولوجية المتلاحقة التي شهدت دفعة نوعية وتحولات جذرية في نهاية القرن الأخير.

مخاطر العولمة

✓ إن القضية الأهمّ للعالم المعاصر تكمن في هيمنة أمريكا على العولمة، فالخطر المباشر ليس في العولمة في حد ذاتها وإنّما في محاولة تماهي الولايات المتحدة الأمريكية مع العولمة.

لذا لابد للمجتمع الإنساني أن يخطو خطوات حثيثة لمواجهة تحديات العولمة .

بدائل العولمة

1- السعي من أجل جعل العولمة ذات طابع ديمقراطي بحيث تضمن ليس فقط الحق في الاختلاف بل تدبير شروط هذا الاختلاف من خلال السماح بوجود أنظمة متعددة أي وجود نظام رأسمالي ونظام اشتراكي ونظام إسلامي وآخر وطني بشكل عام، وهذا الأمر لن يتحقق إلا باستمرارية الدولة القومية كمنبع لحكم القانون على اعتبار أن وجودها يشكل شرطا جوهريا مسبقا للضبط من خلال القانون الدولي، كما أنها بوصفها سلطة عمومية نافذة ضرورية لبقاء المجتمعات القومية التعددية.

2- إتاحة فرصة أكبر للشعوب في كيفية اختيار طريقها للتنمية.

3- تقوية دور المجتمع المدني، فهو لم يعد اليوم مطلبا شعبيا بل خيارا استراتجيا من شأنه أن يتحول إلى صمام آمان يقي نظام العولمة نفسها من أي تعسّفات قد تحدثها للبشرية فيمسي بمثابة الضمير اليقظ الذي يكبح جماح متطرفي العولمة، فالحرص على تنويع أشكال تنظيم المجتمع المدني والانتقال من الديمقراطية التمثيلية إلى الديمقراطية التّشاركية تحوله إلى قوة اقتراحية وآلية أساسية للتّحسيس والتنفيس والتعبئة إلى جانب جعل الفرد الأساس المحوري لأي تنمية مستدامة.

4- جعل الفرد محور أيّ تنمية مستدامة لأن ذلك من شأنه أن يلطف من عواقب العولمة.

5- إنّ النمو الاقتصادي الذي يحفزه العلم والثقافة ويمدّانه بالقوة الدافعة يستلزم نظاما تعليما متقدما.

6- إن إرجاع العالم إلى رشده يتطلب تدخلا سريعا للنخب السياسية والنقابية والفكرية، ذلك أن هذه النخب هي التي رفعت شعار النضال من أجل إقرار الحقوق السياسية في القرن الثامن عشر ومهدت للثورة الفرنسيّة سنة 1789 وذلك بغية استعادة أولوية السياسة على الاقتصاد.

Tunisie DEVOIR.TN

تكنولوجيا الإعلام في زمن العولمة

✓ اتخذت العولمة التي يعيشها العالم في الوقت الراهن من التكنولوجيا أهم الأدوات المنفذة لها ومن ضمن التكنولوجيا بشكل عام تكنولوجيا الإعلام

✓ زاد الأمر رسوخا وتوسعا في زمن العولمة التي اكتسحت دول الجنوب ووصل الأمر في كثير من الأحيان إلى أن إحدى الشركات الإعلامية يزيد رأس مالها عن الناتج القومي لكثير من الدول المتخلفة التي تعيش في عالم الجنوب.

✓وتشهد الساحة الإعلامية الدولية اختلالا واسعاً وهائلا بين دول الشمال ودول الجنوب، حيث تشير الإحصائيات إلى أن 97٪ من الأجهزة المرئية موجود في دول الشمال، فضلاً عن 87٪ من الأجهزة المسموعة من مجموع ما تملكه دول العالم. وإن دول الشمال هي المصدر الأساس لأكثر من 90٪ من مصادر الأخبار.

✓ تنطبق هذه الحقائق على شبكة المعلومات العالمية (الأنترنت) فقد أصبحت لغات هذه الدول لاسيما اللغة الإنكليزية هي المهيمن الكامل على اللغات المستخدمة في مجال الإنترنت.

ذلك أن معطيات **88**٪ من الإنترنت تبث باللغة الإنكليزية مقابل **9**٪ بالألمانية و **2**٪ بالفرنسية فيما يوزع 1٪ على بقية لغات العالم. ويتركز **60**٪ من مجموع شبكة الإنترنت في العالم في الولايات المتحدة و **26**٪ في دول أوروبا فيما تضم بقية دول العالم **14**٪ فقط.

✓ الأمر الذي يوضح لنا بجلاء مدى الهيمنة الكاملة والواسعة جداً لوسائل إعلام دول الشمال ومدى الاختلال الكبير الذي تعانيه إذا ما قورنت بوسائل الإعلام في دول الجنوب.

✓أصبحت وسائل الإعلام بتكنولوجياتها المتفوقة إحدى أهم الوسائل لترويج مفهوم العولمة ونشره وترسيخه بين شعوب العالم فأصبحت الصناعات الإعلامية أدوات مهمة وإستراتيجية في تعميق مفهوم العولمة بين فئات الرأي العام العالمي.

✓ باتت التكنولوجيا بأنواعها المختلفة المستخدمة في العمل الإعلامي أداة مهمة من أدوات الغزو الثقافي لشعوب دول الجنوب المتخلفة ذلك أن ثقافات هذه الدول أصبحت عرضة للاكتساح الثقافي والهيمنة الثقافية من قبل دول الشمال وذلك بفضل المد الهائل من البرامج والمواد الإعلامية المسوقة لدول الجنوب والتي في غالبيتها تؤكد سيادة الحضارة والثقافة الغربية وتقلل من أهمية ثقافات دول الجنوب في عالم لا تصمد فيه إلاّ الدول القوية.

✓وجملة القول إنّ وسائل الإعلام لها تأثير كبير على عقول الناس وقادرة على تشويه الحقائق أو إخفائها بما يخدم مصالح القائمين عليها وحرب الخليج والحرب على يوغسلافيا كانت بداية الحروب الإعلامية والنفسية التي مارستها وسائل الإعلام.

✓لقد اتضح في العقد الأخير من القرن العشرين أنه لا يكفي أن تنتصر في ساحة المعركة بل عليكَ أن تربحها على شاشات التلفزة لأن الحروب أضحت مسرحية تدخل كل منزل والحرب الإعلامية مسرحية خطيرة تؤثر في

Tunisie DEVOIR.TN

مصير الشعوب والدول. والعقد الأخير من القرن العشرين كان عقد اليقظة الإعلامية، حيث كانت وسائل الإعلام المحرك الأساسي لمشاعر الغالبية الساحقة من المجتمعات البشرية..

التلوث

تمهيد

✓ التلوث البيئي مصطلح يُعنى بكافة الطرق التي بها يتسبب النشاط البشري في إلحاق الضرر بالبيئة الطبيعية. ويشهد معظم الناس تلوث البيئة في صورة مَطْرَح مكشوف للنفايات أو في صورة دخان أسود ينبعث من أحد المصانع. ولكنّ التلوّث قد يكون غير منظور، ومن غير رائحة أو طعم، وبعض أنواع التلوث قد لا تتسبب حقيقة في تلوث اليابسة والهواء والماء، ولكنّها كفيلة بإضعاف متعة الحياة عند النّاس والكائنات الحية الأخرى، فالضجيج المنبعث من حركة المرور والآلات مثلاً، يمكن اعتباره شكلاً من أشكال التّلوث..

أنواع التلوث

✓ تشتمل أنواع التلوث البيئي على تلوث الماء، وتلوث التربة، والتلوث الناتج عن المخلفات الصلبة والمخلفات الخطرة والتلوث بالضجيج وخاصّة تلوث الهواء، وهو اختلاط الهواء بمواد معينة، مثل الدخان، وبإمكان تلوث الهواء الإضرار بصحة النباتات والحيوانات، وتخريب المباني والإنشاءات الأخرى، وتقدّر منظمة الصحة العالمية أن ما يقرب من خمس سكان العالم يتعرّضون لمستويات خطيرة من ملوثات الهواء.

✓ يحدث التلوث الهوائي عندما تطلق المصانع والمركبات كميات كبيرة من الغازات والهبائيات في الهواء، بشكل تعجز معه العمليات الطبيعية عن الحفاظ على توازن الغلاف الجوي.

✓ لقد حدّت بعض ملوثات الهواء من قدرة الغلاف الجوي على ترشيح إشعاعات الشمس فوق البنفسجية، والتي تنطوي على الأذى، ويعتقد العديد من العلماء أن هذه الإشعاعات، وغيرها من ملوثات الهواء، قد أخذت تحدث تغييرًا في مناخات العالم. وتهدد ملوثات الماء والتربة قدرة المزارعين على إنتاج الغذاء الضروري لإطعام سكان العالم، كما تهدد الملوثات البحرية الكثير من الكائنات العضوية البحرية.

✓ تشكل العلاقات بين كل الكائنات الحية وغير الحيّة في بيئة معيّنة نظامًا يسمّى النّظام البيئي، وترتبط كل الأنظمة البيئيّة بعضها ببعض، وهكذا فإن الملوّث الذي يبدو وكأنّه يؤثّر في جزء واحد فقط من البيئة، ربّما أثّر أيضًا في أجزاء أخرى. فالدّخان المنبعث من معمل أو مصنع، على سبيل المثال، قد يبدو مؤثرًا على الغلاف الجوي فقط. ولكن في مقدور الأمطار أن تردّ بعض الكيميائيات الضارة الموجودة في الدخان وتسقطها على الأرض أو على مجاري المياه.

الحلول

✓ يرغب كل شخص تقريبًا في الحد من التلوّث، ولكن معظم التّلوث الذي يهدّد صحّة كوكبنا حاليًا يأتي لسوء الحظ، من منتجات يحتاجها كثير من الناس ويرغبون فيها. فمثلاً، توفر السيارات الراحة بنقلها

Tunisie DEVOIR.TN

للأشخاص، ولكنها تُنتج نسبة عالية من تلوث الهواء في العالم. وتنتج المصانع منتجات يستخدمها الناس، ويستمتعون بها، ولكن العمليات الكيميائية في مقدورها أن تسبب التلوث. وتساعد المبيدات والأسمدة في نمو كميات كبيرة من الأغذية، ولكنها تسمم التربة ومجاري المياه.

✓ وهو ما يستوجب من الناس التّقليل من استخدام السيارات، ووسائل الراحة الحديثة الأخرى، وذلك من أجل وضع نهاية للتلوث، أو التقليل منه إلى حدّ كبير، كما أن على بعض المصانع أن تغلق أبوابها أو أن تغير طرق إنتاجها. ولكن إغلاق هذه الصناعات سيزيد من البطالة، لأن معظم أعمال الناس تعتمد على صناعات تسهم في التلوث البيئي. وبالإضافة إلى ذلك، قد يؤدي توقف المزارعين فجأة عن استخدام المبيدات والأسمدة إلى الحد من الغذاء اللازم لإطعام الناس في هذا العالم.

✓ يمكن الحدّ من التلوّث، بمرور الزّمن، بعدّة طرق، دونما أيّ تعطيل جدّي لمسيرة حياة الناس. فمثلاً، يمكن للحكومات أن تسنّ تشريعات تشجّع المؤسّسات على تبنّي طرق تشغيليّة قليلة التلوّث.

✓ يمكن للعلماء والمهندسين أن يطوّروا منتجات تصنيعيّة نظيفة وأكثر أمانًا بالنسبة إلى البيئة، كما يمكن للأفراد والجماعات في العالم أن يجدوا بأنفسهم طرقًا تقلّل من التلوّث البيئيّ.

✓ إعادة التدوير (إعادة التصنيع) وهي عمليّة تهدف إلى استرداد المواد وإعادة استخدامها بدلاً من التخلّص منها. ففي فيينا بالنمسا مثلاً، يتوجب على المواطنين أن يفرزوا نفاياتهم في حاويات خاصة بالورق والبلاستيك والمعادن وعلب الألومنيوم والزجاج الأبيض والزجاج الملوّن ومخلفات الطّعام والحدائق. وتشجّع العديد من الولايات الأمريكية وعدد من الدول الأوروبية على إعادة استخدام القوارير بفرض تأمين مسترد في حالة إعادة القارورة.

✓ من الطرق الفعّالة التي يمكن أن تلجأ إليها الحكومات لمكافحة نوع معين من أنواع التلوث حظر الملوث. فمثلاً، حظرت بعض الدول استخدام المبيد الحشريّ الخطر (دي تي تي) في كلّ الأغراض، عدا الأغراض الأساسية. وقد وجد المزارعون بدائل أقل ضررًا يمكن أن تحلّ محلّه.

✓ اعتماد الدّورات الزّراعية، أي المناوبة بين المحاصيل من سنة لأخرى، لتقليل الحاجة إلى الأسمدة الكيميائية. فالمناوبة بين الذرة والقمح والمحاصيل الأخرى والبقول، كالفصفصة وفول الصويا، تساعد في تعويض النيتروجين المفقود من التربة.

Tunisie DEVOIR.TN